الفصل السادس

التربية النصرانية
فى العصور القديمة والوسطى

الفصل السادس

التربية النصرانية

فى العصور القديمة والوسطى

أولا : مقدمة :

ولد المسيح عليه السلام فى قرية صغيرة قريبة من أورشليم فى عهد الإمبراطور الرومانى أوغسطس . وعاش السيد المسيح سنوات حياته الأولى يتعلم النجارة ، وبعد ثلاثين عاما لا نعرف عنها سوى القليل بعثه الله برسالته، فاستجاب الكثيرون إلى دعوته ، فى وقت بلغت فيه روما ذروة تقدمها السياسى والعسكرى والاقتصادى والثقافى ، وسيطرت على معظم أجزاء العالم القديم ، وفرضت عليه الضرائب الباهظة ، وأذاقته ألوان الخسف والاضطهاد والاستعباد. ومن ثم كانت دعوة المسيح إلى الإخاء والمساواة والعدل مقبولة لدى الضعفاء والمساكين و المضطهدين فى العالم القديم . ويصف سعد مرسى أحمد (١٩٩٢، ص ص ١٩٣ - ١٤٩) حالة المجتمع الرومانى فى عهد السيد المسيح فيقول : «روما تمد سلطانها ويرفرف نسرها على رقعة واسعة من الأرض امتدت من نهر الراين إلى شرق أوربا ، إلى الفرات وإلى النيل ، ودانت لها أرض شمال إفريقيا ، وسار جنودها غزاة قساة على طرقات معبدة كلها توصل إلى روما. وعلى طريق الغزو سارت التجارة ، وصبت الشعوب المحكومة قمحها وذهبها فى مخازن روما، وجاءها النفيس من أقاصى الأرض تتزين به الرومانيات، حيث سالت أنهار الخمرفى وديان المجون الواسعة ... ولكن تلك الثروات المادية عند الرومان ... قد أعوزها الخير الأسمى لأن انحلالا روحيا كان قد انساب إلى أنفس البشر » وحينما جاءت النصرانية انتشرت سريعا فى ربوع العالم الرومانى لما كان لها من جاذبية من وجهة النظرالإجتماعية . فلقد اهتم النصارى الأوائل بالعبيد والفقراء واليتامى والمرضى والأرامل وجميع المكدورين بصفة عامة .

وعارض النصارى الجرائم الاجتماعية كالانتحار وإراقة الدماء وقتل الأبناء . وكان لهذا ـ فى مقابل فردية المجتمع الرومانى ، وقسوته ، وفساده أثربالغ فى كسب الأنصار والمريدين، وزيادة عدد المؤمنين بتلك العقيدة . وكانت النصرانية بتأكيدها على الإيمان بالعالم الآخر ، واحترام العمل ، والمساواة بين الناس ، والقيم العليا للحياة الروحية قوة مبدعة فى المجال الدينى وفى غيره من مجالات الخبرة الإنسانية ، فأثرت فى ثقافات العالم الغربى ونظرياته وممارساته التربوية تأثيرات بالغة .

وكانت المشكلة الأساسية التى تصدت النصرانية لها هى نفس المشكلة التى واجهت مختلف الحضارات الوثنية ـ أى مشكلة التوفيق بين الحرية الفردية ومشكلة الاستقرار الاجتماعى والمحافظة على المجتمع ، من خلال البلوغ إلى مستوى خلقى تتحدد على أساسه علاقة الفرد بالمجتمع . وكانت الحلول التى قدمها سقراط وأفلاطون وأرسطو فى العالم اليونانى ذات طبيعة عقلية وبالتالى كانت أرستقراطية ، وتجاوزت امكانات الفرد العادى وفى روما سادت الفلسفة الرواقية التى تدعى أن العقل أفضل قاعدة للحياة ، وأن الفضيلة ثمرة للحياة العقلية ، وبالتالى كانت تلك الفلسفة عقلية أيضا ولا تروق إلا للقلة . لقد احتاج العالم فى تلك الأونة نظاما خلقيا يعتمد فيما يقول وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص ١٤٤) : « على الانفعالات والطبيعة الخلقية الطبيعية للإنسان - نظاما يقبله كل أفراد النوع البشرى بكل طموحهم إلى الطيبة والفضيلة » ولقد قدم هذا النظام الخلقى إلى العالم فى تعاليم النصرانية ، فالنصرانية اعتمدت على الوجدان لا العقل وبالتالى تسللت إلى قلوب الناس من جميع المستويات والطبقات الاجتماعية .

لقد قدمت النصرانية إلى العالم قوة خلقية ونزعة إنسانية أعانت على تعليم الجميع وهيأت أساسا جيدا للنظام الاجتماعى . ولقد تمثل الإسهام الخلقى والاجتماعى للنصرانية فى أمرين هما :

١ - الأخلاق والشخصية التى تشتمل على قيم الأمانة والصدق والإخلاص والعفة.

٢ - المسئولية الاجتماعية التى تشتمل على دوافع الحب الأخوى والولاء والطيبة والكرم والإيثار والتسامح.

ونتيجة لهذه المثل تضاءل التحيز الطبقى ، والتمييز العنصرى ، وارتفعت مكانة النساء والأطفال والضعفاء ، وظهرت الحقوق والواجبات وانضافت إلى ذلك فكرة الحرية والمساواة . يقول عبد الله عبد الدايم (١٩٧٣ ، ص ١٠٤) : «قدمت المسيحية بعقائدها وبفكرة المساواة التى قررتها ، أوبروح الإحسان والمحبة عناصر جديدة بدت قادرة على رفع مستوى التربية الخلقية . فقد كان مذهب المسيح استردادا لحرية الإنسان وتوكيد الكرامة الفردية وصيانة لها من عبث الحكومة واستبدادها ».

وقصة الاتجاهات التربوية للنصرانية هى قصة الصراع بين التعاليم الحقة للسيد المسيح ، وتفسيرات أتباعه لتعاليمه ولذلك سوف نحاول بيان الاتجاهات التربوية للنصرانية فى ثلاث مراحل هى التربية فى عصر السيد المسيح ، والتربية فى عصر الحواريين ، والتربية النصرانية فى العصور الوسطى.

التربية النصرانية فى عهد السيد المسيح :

إننا نناقش هنا السيد المسيح باعتباره معلما ، ولقد أطلق عليه بالفعل لقب المعلم العظيم . وكان السيد المسيح معلما يشبه سقراط فى طرائقه التعليمية . فلقد كان يجمع حوله الحواريين ويقدم لهم تعاليمه ويعينهم على فهمها أونشرها فى العالم الرومانى . أوجه الشبه والاختلاف كثيرة بين المسيح وسقراط . فلقد انصرف الإثنان إلى المجال الخلقى ، واستخدما مواقف بسيطة لبيان تعاليمهما . وكانت أهدافهما متشابهة ، إذ حاولا السمو بالناس إلى أعلى مراتب الفكر والحياة ، ولم يدرسا معرفة جاهزة بل فتحا آفاقا جديدة للمعرفة ، وحكم على الإثنين بالموت بسبب تعاليمهما ، ولم يتركا شيئا مكتوبا من عقائدهما . وهنا يتوقف التشابه . وبينما كان سقراط ناقدا تحليليا وشاكا كان عيسى إثباتيا . وبينما عنى سقراط بالعقل عنى عيسى بالقلب والضمير .

وفيما يلى نناقش الاتجاهات التربوية العامة فى عهد السيد المسيح.

أ - اهداف التربية :

أراد السيد المسيح عليه السلام تحقيق مملكة الرب على الأرض ، والبلوغ بالإنسان

إلى درجة الكمال . ومعنى ذلك أن أهداف التربية عند المسيح كانت فردية واجتماعية فلقد دعا إلى احترام الفرد وتقديم الحياة الاجتماعية التى تقوم على الحرية والعدل والمساواة . لقد جاء السيد المسيح بفكرة جديدة عن الشخصية وفكرة جديدة عن التنظيم الاجتماعى ، وتعتمد الفكرتان على تصوره للرب . فبينما كان الرب عند اليهود إلها محليا يعبد فقط فى أورشليم أصر عيسى على أن الرب لا متناه وكلى القدرة ، وروح ، ويعبد فى كل مكان . وأعلن أن العبادة الحقة اتجاه قلبى ، وليست مسألة شكل أو مراسيم . وأكد أبوة الرب ، واهتمامه بجميع المخلوقات وبخاصة الإنسان . وحملت فكرة المسيح عن الرب فكرة جديدة عن الإنسان واحترامه وتقديره للحياة الفردية . فلقد وضع الإنسان فى قمة ترتيب الكائنات وجعل له هدفا هو بلوغ الكمال « كونوا كاملين لأن إلهكم الذى في السماء كامل » ولا يبلغ الإنسان إلى الكمال إلا بالتضحية من أجل الرب وخدمة أخيه الإنسان.

وبينماكانت المحافظة على الدولة أساسا للسلوك الخلقى فى العالم القديم أعلن المسيح أن مملكة الرب هى أكمل صورة للمجتمع الإنسانى ، وهذه المملكة خلقية وروحية وعالمية . ويجب أن يفوق ولاء الإنسان لربه ومملكته ولاءه الضيق للمؤسسات الاجتماعية والقبلية . وفى هذا المجتمع الجديد يتساوى الناس لأنهم أبناء رب واحد فهم متساوون بالأخوة . ومملكة الرب هي المؤسسة الاجتماعية المثالية لأننا نحقق التوازن بين رغبات الفرد ومصالح المجتمع . وبهذه المساواة ألغى المسيح الطموح الفردى والعداوات التى تقسم الناس إلى أجناس وفرق وطبقات . ولقد راقت هذه المبادئ للطبقات الدنيا لأنها أعلت من شأنهم ومن حياتهم.

ب -انواع التربية ومحتواها :

اشتملت التربية النصرانية فى عهد السيد المسيح على نوعين من التربية هما التربية الدينية والتربية الخلقية . يقول سعد مرسى (١٩٩٢ ، ص ١٩٨) : «وقد هدفت هذه التربية لا إلى نمو عقلى أو اجتماعى وإنما إلى نمو خلقى روحانى» ففى التربية الدينية أكد المسيح على المفهوم الجديد للرب باعتباره إلها عالميا كلى القدرة يعبد فى كل مكان ويهتم بجميع المخلوقات ودعا إلى إخضاع الشهوات لخيرية السماء ، ومحبة

الرب ، ومحبة الجار ، ومحبة الإنسان فى كل مكان . وفى التربية الخلقية استبدل قيم الاعتدال والشجاعة والحكمة وغيرها من الفضائل التى سادت فى العالم الرومانى بفضائل الروح والإيمان ، والحب والأمل . وبدلا من الحب الأفلاطونى قدم حب الرب ، وحب الإخوة ، وحب الجيران ، وحب الاصدقاء ، وحب المسيح . وبذلك اختلف القانون الخلقى الذى دعا اليه السيد المسيح عن القانون الخلقى الذى ساد فى أورشليم والقانون العقلى للمدارس الفلسفية اليونانية والقانون الحسى للعالم الرومانى الوثنى . وتعتبر موعظه الجبل أكمل تعبير عن محتوى التربية فى عهد السيد المسيح عليه السلام فلقد دعا الإنسان فى هذه الموعظة إلى السلوك كما لو كان ابنا للرب ، وعلم التسامح والانتصار على الذات والشهوات ، ودعا الي إطراح القلق على الأرزاق والمأكل والمشارب ، إن الرب يمنح هذه الأشياء للحيوانات والطيور ، لأن الحقائق العليا للعالم وما وراء العالم . يقول ستار Starr (١٩٧٥ ، ص ١٨٦) : « اشتملت الفضائل التى دعا اليها المسيح فى موعظة الجبل على التواضع والإحساس والحب الأخوى التى أصبحت فيما بعد معايير السلوك فى العالم الغربى».

جـ- المؤسسات التعليمية :

لم يكتب المسيح شيئا ، ولم ينشئ مدرسة ، وإنما خلف جماعة صغيرة من الحواريين ، ومؤسسة لم يحدد معالمها أو يضع لها قواعد وقوانين ، وإنما اعتمد على الروح التى ترشد الحواريين فى كل شئ . وبالتالى لم تكن كنيسة المسيح مجرد جمع من المؤمنين وإنما كانت تنظيما إنسانيا برياسة المسيح ، وعضوية جميع المؤمنين المتساوين ولقد أصبحت هذه الكنيسة المدرسة التى تعلم النصارى القيم الجديدة : قيم الأخوة والمحبة ، والتسامح ، ومحاربة رزائل المجتمع القديم . هذا فضلا عن أن السيد المسيح نفسه كان مؤسسة تعليمية . فقد تحدث إلى الناس فى كل مكان : على شاطئ النهر ،وفى الطريق العام ، وعلى قمة الجبل ، وفى الاجتماعات العامة . ولقد اعتقد المسيح عليه السلام أن التدريس الحق هو إعطاء المثل ، وبالتالى كانت شخصيته وسلوكه وأسلوب حياته أعظم مؤسساته التعليمية . ولقد جذب إليه

عددا من الحواريين علمهم الحب ، والحكمة والشجاعة ، فأصبحوا فيما بعد من أكبر المؤسسات التعليمية فى العالم النصرانى.

د - طرق التعليم :

يذهب ماخوستين (نقلا عن سعد مرسى أحمد ، ١٩٩٢ ، ص ص ١٩٩ - ٢٠٠) إلى أن عظمة المسيح كمعلم تكمن فى المرونة التى استخدم بها طرائق التدريس والتعليم . ويورد ماخوستين عددا من الصفات المميزة لهذه الطرائق فى عمومياتها منها « تأكده مما يقول ، والأصالة فى أقواله ، والتلقائية التى يتميز بها موقفه ، والبساطة وعدم التعقيد ، والألفة التى يتحدث بها إلى سامعيه ، والمباشرة فى أقواله ، والاختصار المؤدى إلى الإفادة ، وتحركه من المحسوس إلى المعقول ، ومن المعروف إلى غير المألوف والمجهول ، ومن الماضى إلى الحاضر ، ومن الحاضر الى المستقبل ، وحبه العظيم لمستمعيه ، وتبصره فى دوافعهم ، وفوق كل هذا تحرره من الخوف فى قوله ما يؤمن به » ولقد استخدم السيد المسيح غير طريقة لنشر تعاليمه كالأمثلة ، والحكايات الرمزية المستخدمة من واقع خبرة مستمعيه ، والحكم ، والأمثال، والاستعارات ، والكنايات ، وغيرها من الصور البيانية التى تقرب المعانى إلى أذهان مستمعيه . ولقد استخدم طريقة المناقشة ، ودارت مناقشاته على شاطئ النهر ، أو تحت شجرة ، أو فى أحد المنازل ، غير أن معظم تعاليمه ألقيت فى صورة محاضرات عامة . ويذكر وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص ١٥٥) أن المسيح شجع الحواريين على السؤال عما استغلق عليهم فهمه واعترف بالفروق الفردية بينهم ، وجعل تعاليمه مناسبة لكل شخص .

التربية النصرانية فى عهد الحواريين والآباء

بعد وفاة السيد المسيح سلك الحواريون مسلكه ، وأخذوا بالقيم التى كان يدعو لها من الطهارة والعفة والبعد عن الرذائل . وفى هذه الفترة آمن بالنصرانية كثير من الأتباع ذوى الأهمية فى الحياة الرومانية من أمثال « بول » اليهودى ، الذى عنى بنشر الديانة النصرانية . وشهدت النصرانية صراعا بين الأتباع والمريدين بعد وفاة السيد

المسيح إذ حاول بعضهم قصرها على اليهود ، وحاول بعضهم الآخر جعلها ديانة عالمية . واصطدم النصارى بالحكومة الرومانية بعد زيادة أعدادهم ، فاضطهدهم الرومان لتجنبهم معابدهم وآلهتهم ، ورفضهم الاختلاط بالرومان ومشاهدة إراقة الدماء فى حلبات المصارعة ، وامتناعهم عن أداء الخدمة العسكرية فى الجيش الرومانى ، وعدم طاعتهم للقوانين الرومانية ، وعدم إرسال أبنائهم إلى المدارس الرومانية . ووقع أول اضطهاد فى عهد الإمبراطور « نيرون» الذى حكم فى المدة من ٥٤ - ٦٨ ميلادية . ولقد أشعل نيرون النار فى مدينة روما ، فحولت الحريق نصف روما إلى رماد ، واتهم النصارى بإشعال الحريق ، ومن ثم كان اضطهادهم وتعذيبهم . ولقد استشهد القديس « بول » فى عهد الإمبراطور « نيرون» .

وفى الفترة التى أعقبت وفاة السيد المسيح بحوالى قرنين من الزمان تسللت أفكار معينة من الديانات الأخرى والفلسفات الوثنية فى تعاليم السيد المسيح. وكانت الإسكندرية هى البوتقة التى انصهر فيها الدين والفلسفة ، وبذلك خالطت تعاليم السيد المسيح عناصر من الديانة اليهودية ، والفلسفات اليونانية والرومانية ، كالرواقية والأفلاطونية الحديثة . ومن ثم ظهرت الهرطقات فى العقيدة النصرانية وبخاصة ما تعلق بطبيعة السيد المسيح عليه السلام وكانت عقيدة التثليث . غير أن ليون Lyon (١٩٢٦) أنكر عقيدة التثليث التى فصلها أثانيسيوس على النحو التالى : « إننا نعبد الها واحدا فى ثلاثة ، وثلاثة فى واحد ، ولا نخلط بين الأشخاص ، أو نقسم الجوهر، لأن هناك شخصا للرب وشخصا للابن ، وشخصا للروح القدس . ولكن ألوهية الآب والابن والروح القدس شئ واحد » . وفى الرد على هذه العقيدة يقول ليون Lyon (ص ٢٧) « إن هذا المعتقد لم يوجد فى أى مكان فى الكتاب المقدس ، ولم توجد كلمة الثالوث أوأية كلمة تعبر عن هذا المعنى . والنقول التى يستشهد بها من العهد القديم لا علاقة لها بهذا المعنى » ويضيف «ليون» أن السيد المسيح لم يدع أنه إله وإنما قرر أنه رسول كغيره من الرسل ، كما أن الحواريين الذى استمعوا اليه لم يسمعوه أو يفهموا منه أنه إله . ويرى « ليون» (ص ٣١) أن هذا المعتقد « يرجع إلى اتصال النصرانية بالعالم القديم الذى تتضاءل فيه المسافة بين الإنسان والإله كما هو

شائع فى أديان الإغريق » ونتيجة لهذه التأثيرات الوثنية ظهرت الحاجة إلى علم اللاهوت أوعلم الدين النصرانى . ويذكر إيبى وأروود Eby & Arrowood (١٩٤٠، ص ٥٩٠) أن علم الدين النصرانى ظهر فى القرن الثانى الميلادى . وفيما يلى نناقش الاتجاهات العامة للتربية فى عصرالحواريين والآباء .

أ - اهداف التربية :

كان الهدف التربوى فى عصر الحواريين والآباء هو تطهيرالفرد ، والقضاء على الثقافة الوثنية . ولقد اعتقد الحواريون أن إصلاح المجتمع لايتم إلا بإصلاح الفرد ، ولذلك اهتموا بالتربية الخلقية ، وتبصير الفرد بطريقة الحياة النصرانية . وكان المجتمع الرومانى الذى ظهرت فيه النصرانية غارقا فى الرذيلة ، ولم يكن للأفراد من هدف سوى الأكل والشرب ومشاهدة المسارح وإراقة الدماء . ولمقاومة هذه الرذائل نادى الحواريون بالمبادئ الإنسانية كالحب والأخوة واحترام العمل ، ومقاومة العبودية ، وأعلوا من قيمة الحياة الإنسانية ، ومنعوا الانتحار وقتل الضعفاء ، وعنوا بالعجزة ، والفقراء والمطلقات ، واستبدلوا قيم الرفاهية بالبساطة ، والتبذل بالعفة ، والشراسة بالإنسانية . ونظرا لعجز الحواريين عن إصلاح المجتمع الرومانى تحول اهتمامهم من إصلاح المجتمع إلى خلاص أنفسهم ، فيما يذكر وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص ١٥٩) .

ب - انواع التربية :

تحقيقا للأهداف السابقة التى تتمثل في طهارة الفرد وإصلاح المجتمع اشتملت التربية النصرانية على تدريبات خلقية ودينية . ولم يكن هناك تدريب عقلى ، أوتدريب بدنى ، وإن كان هناك تدريب على الموسيقى والغناء للقيام بالشعائر الدينية. وفيما بعد استطاع الآباء الذين تلقوا تعليمهم فى العالم اليونانى أو الرومانى ، ودخلوا فى النصرانية أن يؤكدوا أنواعا أخرى من التربية كالتربية العقلية من فلسفة وجدل ومناظرة ، حتى يتسنى للنصارى الدفاع عن دينهم فى مواجهة الأديان الأخرى والمذاهب الفلسفية الوثنية . ولكن حتى فى هذه العصور المتأخرة كانت التدريبات

الدينية والخلقية مفضلة على التدريبات العقلية. ويذكروايلدز Wilds (١٩٧٥ ، ص ص ٥١ - ٥٢) : « كانت التربية النصرانية تربية دينية خلقية تهتم بتهذيب الروح وتنمية الفضيلة والدعوة إلى حب الله ، وحب الإنسان».

جـ - محتوى التربية:

لقد قاوم الحواريون التربية السائدة فى العالم الوثنى ، من أدب وعلم وبلاغة ومنطق وفلسفة ، واعتبروها زندقة ، وقصروا اهتمامهم على الدين والأخلاق وهكذا انتصرت المناهج التعليمية على بعض العقائد الكنسية البسيطة ، والممارسات الكنسية ، والفضائل الخلقية . ولكن فى القرن الثانى الميلادى أصبح المنهج أكثر ثراء لدخول بعض المتعلمين فى الدين النصرانى ، وحرصهم على تعليم القواعد ، والأدب والبلاغة والفلسفة باعتبارها وصيفات للكتاب المقدس . ولقد انتشر هذا المنهج فى الجزء الشرقى من الإمبراطورية الرومانية ، بينما ظلت الأجزاء القريبة من الإمبراطورية الرومانية تعارض جميع أنواع التعليم الوثنى، وتستبعده من التعليم النصرانى . وكان الآباء الاغريق من أمثال « كليمنث» و « أورجين » و « بازيل » و «جريجورى» يشجعون استخدام الدراسات الوثنية فى تدريب الشباب النصرانى . لقد اعتقد هؤلاء الأباء أن من حسن اختيارالموضوعات التى يدرسها الشباب من التعليم الوثنى يكون فى صالح الدين . أما « تيرتوليان» و«جيروم » و « أوجسطين » وغيرهم من الآباء اللاتين فقد خشوا على التعليم النصرانى من الثقافة الوثنية ، على الرغم من أنهم كانوا يعرفون هذه الثقافة معرفة جيدة قبل تنصرهم . ونتيجة لآراء الآباء الغربيين شاعت فى العالم النصرانى أقوال مثل : « اذا أردت أن تقرأ تاريخا فاقرأ تاريخ الأنبياء ، واذا أردت أن تقرأ شعرا فاقرأ التراتيم الدينية ، واذا أردت أن تعرف أصل الأشياء فاقرأ كتاب الخلق » وكانت لهذه الاتجاهات تأثيرات سالبة على العقل النصرانى وضيق آفاق ثقافته.

د - المؤسسات التعليمية:

بعد وفاة السيد المسيح عليه السلام نظم النصارى أنفسهم فى جماعات لتدارس

تعليم النصرانية ، وأصبحت الكنيسة من أهم المؤسسات التعليمية ، وألحق بها مدارس للإنشاد ، ومدارس الحوار الدينى لتعليم المبادئ الدينية ، ومدارس الكاتدرائيات لتعليم الواجبات الكنيسية . وكان رجال الدين أنفسهم يقومون بأمور التعليم ، ويتعلم الأولاد والبنات معا فى هذه المؤسسات التعليمية. وفيما بعد أنشئت مدارس الاهوت لتعليم رجال الدين أصول مهنتهم.

هـ - طرق التعليم:

اعتمد الحواريون فى تعليمهم علي طرق القراءة من الكتاب وشرحه ، واستخدمت طريقة القدوة فى التعليم المنزلى . وفيما بعد اعتمد الآباء على طريقة السؤال والجواب حيث يحفظ التلاميذ الاجابات عن أسئلة معينة ، ولم تكن هناك جهود لمعرفة معانى الكلمات ، واستمرت هذه الطريقة حتى العصور الوسطى ، وماتزال تستخدم فى التعليم الدينى فى الكنيسة حتى اليوم . فيما يقول وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص ١٦٣).

التربية النصرانية فى العصور الوسطى

لا يوجد تاريخ مضبوط يحدد بداية العصور الوسطى لأن المجتمع النصراني انتصر تدريجيا نتيجة للتمزق البطئ للإمبراطورية الرومانية . ويذهب مولهرن Mulhern (١٩٥٩ ، ص ٢١٣) إلى الاعتقاد فى أن عام ٣٣٠ م - وهو تاريخ جعل القسطنطينية عاصمة للإمبراطورية الشرقية - هو بداية العصور الوسطى ، وأن عام ١٤٥٣ م ـ وهو تاريخ سقوط القسطنطينية فى يد الأتراك العثمانيين ـ هو نهاية العصور الوسطى . ويوافق جوزيف نسيم يوسف (١٩٨٤ ـ ص ٢٣) مولهرت على تاريخ نهاية العصور الوسطى ، ويخالفه فى تاريخ بداية العصور الوسطى إذ يجعل سقوط روما سنة ٤٨٦ ميلادية هو بداية العصورالوسطى . ويميل كاتب هذه السطور إلى الأخذ برأى مولهرن لبساطته ، ولموافقته لآراء بعض المؤرخين الثقات من أمثال ليون Lyon (١٩٢٦) وإبى وأرووود Eby & Arrowood (١٩٤٠) ومهما يكن من شئ ، فقد امتدت العصور الوسطى قرابة عشرة قرون . وكانت معظم هذه العصور

عصور تأخر وظلام ، وتخلف وانحطاط . ولقد أورد عبد الله عبد الدايم (١٩٧٨ ، ص١١٠) العديد من الأمثلة التى تبين تخييم الظلام والجهل على أوربا فى العصور الوسطى . وعزا عبد الله عبد الدايم هذا التخلف الفكرى إلى عدة عوامل ، منها الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتدنية ، وانشغال الشعوب الأوربية بصد هجمات البرابرة والنورماندين ، وعدم شعورهم بالحاجة إلى العلم والثقافة ، وفقدان اللغات القومية ، وندرة الكتب ووسائل الثقافة . ولا ينبغى أن ننسى موقف النصارى من العقل باعتباره أحد عوامل التخلف التى ظهرت فى العصور الوسطى . فلقد كانت عقيدة السيد المسيح عليه السلام معنية بالقلب أكثر من عنايتها بالعقل وكان الشخص الذى يؤمن دون أن يفهم أفضل فى رأيه من الشخص الذى يؤمن بعد الفهم . واعتقد القديس « بول» (نقلا عن مولهرن Mulhern (١٩٥٩) أن الإيمان هوالدليل على الأشياء غيرالمرئية ، وأن حكمة العالم حماقة ، وبدون الإيمان لا يمكن إنقاذ الإنسان . وفيما بعد اعتقد الآباء أن الإيمان لا العقل هوالطريق إلى المعرفة ، والحكمة ، والخلاص . وأكد القديس «أوغسطين » أنه لا ينبغى لأحد أن يقبل شيئا إلا اذا كان موافقا لتعاليم الكنيسة . فالكنيسة هى صاحبة الكلمة الأخيرة فى كل أمر . واعتقد «أوغسطين» أيضا أن الدراسات الدينية تعارض الدراسات العلمانية . ويذكر مولنجر Mullinger (١٨٧٧) أن مجمع كارتاج حرم قراءة الكتب العلمانية سنة ٣٩٨ م ، وأن النصارى عارضوا العلم فى القرن الرابع الميلادى . ويبدو ذلك من قوله (ص ٨) «ان الاعتقاد فى بعث الأجساد جعل دراسة التشريح غير دينية ، والاعتقاد فى أن الله خالق الأرض جعل دراسة الجيولوجيا والطبيعة والجغرافيا لا معنى لها واعتقد النصارى أنه لا يمكن أن يتقدم علم إلا اذا كانت القوى الغيبية هى التى تتحكم فى قوانين الاشياء ».

إن أحلك فترة فى العصور الوسطى هى الفترةالتى امتدت من نهاية القرن السادس الميلادي حتى حركة إحياء العلوم على يد شارلمان العظيم فى أواخر القرن الثامن الميلادى أوبداية القرن التاسع . ففى هذه الفترة غلب على أوربا الفقر والمجاعات ، والطاعون ، وبوار التجارة ، وقلة الصناعة ، وبدائية الزراعة ، وقلة

السكان ، وسيادة المعتقدات الدينية السحرية والخرافية ، وانعكس هذا على الثقافة والعلوم والآداب .. يقول جوزيف نسيم يوسف (١٩٤٨ ، ص ٢٤) : «فى هذه الفترة أهملت قواعد النحو فى اللغة اللاتينية ، وزاد إهمال دراسة الكتاب الوثنيين وأعمالهم ، واستشهد البابا جريجورى بالكتاب المقدس ، مستنكرا العلوم الإنسانية ، وأصبحت الكتب نادرة . وكان تدهور الدراسات الإنسانية ظاهرا فى غالة وإيطاليا .» وبالرغم من أن الكنيسة قامت بدور كبير فى تنمية العلوم الدينية ، وإنشاء مدارس الأديرة ، وتزويدها بالنساخ والمكتبات ، فقد استهدفت تحقيق أغراض دينية فقط . يقول جوزيف نسيم يوسف (١٩٨٤ ، ص ص ٤٩ - ٥٠) : « لقد اقتصر التعليم فى مدارس الأديرة على تلقين الطلاب ما يؤهلهم للعمل فى السلك الكنسى فحسب ، فكان عليهم دراسة اللغة اللاتينية لإجادة قراءة الكتب الدينية والقيام بالوعظ ، ودراسة الألحان الدينية لآداء الطقوس والشعائر ، وقواعد الحساب والفلك والهندسة لتحديد التواريخ وأعياد القديسين. أى أن دراسة هذه العلوم كانت لأغراض دينية » وفى عام ٥٢٩ م أغلق الإمبراطور جستنيان مدارس اثينا الفلسفية القديمة ، وأسس القديس بندكت ديره المعروف بمونت كاسنيو . وبذلك انتهى العصرالوثنى بكل ما يحمل من علم وثقافة وفلسفة ، وحل محله عصرالدين وتحكمت الكنيسة فى كل أمر . ويذهب ساذرن Southern (١٩٧٩ ، ص ١٨) إلى أن الكنيسة فى العصورالوسطى كانت دولة داخل دولة » ، لقد كان لها كل وسائل الدولة : القوانين ، والمحاكم ، والضرائب ، وجامعوا الضرائب ، والجهاز الإدارى ، وسلطة الحياة والموت على المواطنين النصارى وعلى أعدائهم فى الداخل والخارج . لقد كانت دولة فى أعظم سلطتها ».

ويرجع الفضل إلى الإمبراطور شارلمان فى إحياء نهضة شاملة فى أواخر القرن الثامن الميلادى عرفت باسم النهضة الكارولنجية ازدهرت فيها العلوم والفنون والآداب ، وتم إحياء العلوم القديمة ، والمنطق والفلسفات والآداب . يقول جوزيف نسيم يوسف (١٩٨٤ ، ص ٦٣) : «أحيا شارلمان الدراسات الأدبية وإهتم بجمع الكتب القديمة ، واستدعى إلى عاصمته العلماء والأدباء والفلاسفة ورجال الدين من

مختلف أنحاء القارة الأوربية ... للاشتغال بأمور العلم والتعليم فى مدرسة البلاط التى أسسها فى مدينة إكس لاشبل» لتعليم أبنائه وأبناء كبار دولته . وعهد بإدارة هذه المدرسة إلى ألكوين . ولم يجد شارلمان غضاضة فى الجلوس مع الصبية لتلقى العلم.. وقد أمر شارلمان بانتقال هذه المدرسة معه أينما ذهب ، وحيثما حل حتى وهو فى حملاته الحربية ، فكانت بمثابة مركز علمى «متنقل » ولم تقتصر نهضة شارلمان على مدرسة البلاط وعلى فئة مختارة من المعلمين والتلاميذ ، بل وجه شارلمان عنايته إلى إنشاء المدارس ، والمكتبات العامة ، وإحياء الدراسات الدينية والفلسفية والتاريخية فى أرجاء مملكته ، وأنشأ مدارس عليا لإعداد المعلمين والمثقفين لإدارة شئون البلاد ، ودعا إلى تدريس الفنون الحرة فى الكنائس ، وفتح المدارس أمام جميع التلاميذ . ويذكر ساذرن Southern (١٩٧٩ ، ص ص ٣٤ - ٣٥) أن من أهم عوامل النمو فى هذه المرحلة « تجميع الثروة ، وزيادة عدد السكان ،وعودة المستعمرات فى حوض البحر المتوسط إلى أوربا ، والضعف السياسى لإمبراطوريات الإغريق والمسلمين ، وتحسين وسائل الاتصال ، وابتكارطرق جديدة فى الزراعة ، وتنظيم الأسواق . ومع زيادة السكان ظهرت مشكلات الحقوق والواجبات ، وتقدمت طرق الحرب والتجارة ونظم الحكم ، وزاد الطلب على المعرفة الفنية المتخصصة» وبعد وفاة شارلمان وتقسيم إمبراطوريته بين أبنائه ساد الظلام ثانية حتى أواخرالقرن الحادى عشر . وفى القرن الحادى عشر ظهر الصراع بين البابوية والأباطرة على المسائل العلمانية ، وقامت الحروب بين الممالك النصرانية فى الشمال الإسبانى والعرب فى الجنوب . ولم تكن هذه الظروف مواتية لتقدم الفكر بالمعنى الواسع للكلمة.

وبانتهاء القرن الحادى عشر واستقرار الأحوال نسبياً ظهرت نهضة القرن الثانى عشر وكانت ثورة شاملة في جميع الميادين : فى الدين ، والفكر ، والعلم، والثقافة ، وكان للحضارة العربية الإسلامية فضل كبير فى إحداث تلك النهضة . يقول جوزيف نسيم يوسف (١٩٨٤، ص ٩٤) : « لقد كانت الحضارات الشرقية الإسلامية ذات دور واضح فى تقدم الأوربيين فى الميادين الأدبية والفلسفية ، والرياضية، والجغرافية ، والكيمائية والطب » ويقول مولهرن Mulhern

(١٩٥٩، ص ٢٤٤) : « حفظ العرب منطق وعلوم اليونان ، واستطاعوا نقلها إلى أوربا من خلال حكمهم لشمال أفريقيا وأسبانيا . كما كان للحرب الصليبية أثر فعال فى اطلاع الأوربيين على المدنية الإسلامية كالمدن العظيمة ، والزراعة والصناعة والطريقة التجريبية ، والتقدم فى العلوم والطب والجغرافيا والمساحة والكيمياء ، ووجود جامعة فى كل مدينة . كل هذا أثار الأوربين وعلمهم الشئ الكثير مما أثرفى طريقتهم فى المعرفة ودراسة منتجات العرب .وفى الوقت الذى كان فيه العرب يقدمون للعالم طبا مهنيا كان أهل الغرب يتداوون بعظام القساوسة » وكانت هذه النهضة أساسا للحركة الفلسفية المدرسية التى أصبحت أساسا للجامعات الأوربية فى العصور الوسطى . يقول جوزيف نسيم يوسف (١٩٨٤ ، ص ص ١٠٧ـ ١٠٨): «وهكذا ارتبطت الدراسات الفلسفية واللاهوتية بقيام جامعة باريس والدراسات القانونية بجامعة إيطاليا ـ مهد الحضارة الرومانية والتعليم الرومانى بتأكيدها على القانون . لقد اهتمت جامعة باريس بالجدل والمنطق واللاهوت ، واهتمت جامعة إيطاليا بالنحو والبلاغة والقانون . إن نمو مراكز العلم والجامعات فى القرن الثالث عشر يرجع أيضا إلى التقدم الاقتصادى ، ونمو التجارة ، وزيادة الثروة وظهور طبقة التجار والمهنيين وغيرهم ممن شكلوا النبالة الجديدة فى مقابل النبالة الإقطاعية . وفيما يلى نتحدث عن الاتجاهات العامة للتربية فى العصور الوسطى مؤكدين أهمية أربع مؤسسات تعليمية كان لها تأثيرها البالغ فى تلك الفترة وهى الديرة ، والحركة المدرسية ، والفروسية ، والتقاليد الحرفية.

١ - الاتجاهات والممارسات التربوية للديرية :

ليست الديرية مقصورة على الديانة النصرانية ولم تنشأ معها بل هى أقدم منها بكثير . ففى معظم الديانات الشرقية وجدت طوائف من الناس انعزلت عن العالم ، وانشغلت بالتأمل والتفكير بعيدا عن شئون العالم . ولقد تأثرت الديرية النصرانية بالاتجاهات السابقة للديرية فى الشرق يقول وايلدز Wilds(١٩٤٤ ، ص ١٧٥): «إن كثيرا من عناصر الديرية ترجع إلى أديان وفلسفات اليهود والفرس والهنود والمصريين والإغريق . فاحتقار الأبيقوريين الألم والموت ، ورفض البراهمة للعالم

المادى واحتقاره ، وعناية الفرس بالكفاح الأزلى بين الخير والشر تعتبر سوابق للإتجاهات الديرية». ولقد أعان على ظهور تلك المؤسسة عوامل كثيرة منها هرب بعض النصارى إلى الصحارى والجبال والبرارى والقفار بسبب الاضطهاد الرومانى واليهودى لهم حيث يستطيعون العبادة على راحتهم ، ومنهاكراهية النصارى لفساد المجتمع الرومانى ورغبتهم عن المشاركة فى حياته الاجتماعية والسياسية ، ومنها رغبتهم فى تجنب المسرات الدنيوية والأنشطة العلمانية، وبالتالى تجنب مراكز التجمعات السكانية . ويذهب وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص ١٧٣) إلى أن مصطلح «ديرية» مستمد من الكلمة اليونانية Monos التى تعنى الحياة منفردا . وكانت الحياة الديرية فى العصور الأولى للنصرانية موافقة لهذا المعنى تماما ثم غلبت عليها النزعة الاجتماعية . ولقد استطاع الكاهن « باخوم » تنظيم مجتمع دينى فى إحدى قرى وادى النيل يعيش فيه الرهبان منفردين فى صوامع خاصة ، ولا يجتمعون إلا للأكل والصلاة والحفلات الدينية . وانتقل هذا النوع من الديرية إلى بلاد الإغريق على يد « باسيل » ، ونقل « جيوم » الفكرة إلى روما .» فظل كل دير ينظم طبيعة الحياة فيه وفقا لنظام القواعد التى يراها مناسبة ، حتى أسس «بندكت» ديره المعروف بمونت كاسينو فى جنوب إيطاليا ووضع له دستورا من ثلاثة وسبعين قانونا لتنظيم إدارة الدير والحياة اليومية لاعضائه. وفيما بعد أسست جميع الأديرة فى الغرب استنادا إلى قوانين « بندكت » يقول عمرالشيبانى (١٩٧٥، ص ٥٣) : « قد ظل كل دير يسيرحسب قوانينه الخاصة حتى وضع بندكت سنة ٥١٩ م دستوره لتنظيم الحياة الديرية فى جنوب إيطاليا ، وأصبح أساسا لتنظيم الأديرة فيما بعد» ووصف ساذرن Southern (١٩٧٩) نظام الحياة فى دير بندكت مؤكدا علي دقة هذا النظام وتحكمه فى كل ما يرتبط بالعمل والحياة فى الدير ، من حيث نوعية الأعضاء والزوار ، والكتب والأناشيد ، وتوزيع الوقت ، والمسئولية عن الأنشطة المختلفة . ولقد بلغ هذا التنظيم حدا جعل « ساذرن» يقول (ص ٢٢١) : «إن هذا النظام يدل على أن صاحبه ضابط فى الجيش » فالنظام يصف نوع الأعضاء المسموح لهم بالدخول فى الدير ،ومراتب الرهبان والراهبات ، والمسئوليات المنوطة بكل طائفة

والمبادئ المنتظمة للحياة الديرية ، ونظم الكفارات والصدقات . ويعتمد النظام على قاعدتين أساسيتين هما قاعدة الشكر فى جوف الليل ، والشكر سبع مرات يوميا ، فضلا عن التلاوات اليومية، والأسبوعية والسنوية . ويذكرعمر الشيبانى (١٩٧٥ ، ص ص ٣٥ ـ ٤٥) أن بندكت «خصص ٧ ساعات من العمل اليدوى للرهبان يعملون فى الأعمال الزراعية ، والجلود والخشب ، والنسيج والتطريز ، ونسخ المخطوطات » إذ كان المتوقع من الرهبان إعالة أنفسهم من خلال عملهم فى الدير . وكان مسموحا لنساء الطبقات العليا اللاتى مات عنهن أزواجهن ، أو تجاوزن نسبة الزواج دخول الدير فى مقابل هبات مالية تمنح للدير ، وينفق منها على إعالة الرهبان وتأسيس مدرسة لتعليم الأطفال ، ومستشفى لعلاج المرضى ، وورش عمل لأبناء الفقراء . وهكذا كان للديرية تأثيركبيرفى التربية فى العصور الوسطى . يقول وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص ١٧٤) : « لقد حفظت الديرية الكتابات الكنسية والمعرفة التى نماها الرهبان ، ووقفت ضد الفساد والانحلال فى العالم فى العصر الوسيط . وفى هذه الأديرة نشأت المهارات الصناعية ، ومفهوم احترام العمل اليدوى ، ووجد الفقراء والمرضى والجوعى حاجاتهم فى الأديرة . وكانت الأديرة هى المدارس ، والمكتبات ، والمطابع ، والمراكز الأدبية ، والمستشفيات ، والمتاجر ، وكان تأثيرها التربوى كبيرا » وفيما يلى نناقش الاتجاهات والممارسات التربوية للديرية.

أ -أهداف التربية:

كان الهدف التربوي العام للديرية هو خلاص الروح الفردية . فالفكرة الأساسية للديرية تمثلت فى تهذيب الرغبات البدنية ، والعواطف الإنسانية ، والطموحات العقلية ، وبالتالى كان الهدف المباشر هو التهذيب البدنى والخلقى ومن ثم تمثلت أهداف الديرية فى أمرين : أحدهما إنكار حاجات البدن ، وثانيهما إنكار المطالب الاجتماعية والإنسانية . أما الأمر الأول فقد أوجب الزهد، والتقشف ، والحرمان من الملذات . وكانت فضيلة الراهب تقاس فيما يقول وايلدز Wilds(١٩٤٤ ، ص ١٧٥) « بقدرته على ابتكار أساليب جديدة لتعذيب البدن ـ بالصيام على طعام غيركاف ، وقلة النوم ، ولبس القليل والخشن من الثياب ، واتخاذ أوضاع بدنية غير

مريحة .. وكان كل هذا التهذيب البدنى يقصد به التنمية الروحية .» وأما الأمر الثانى فقد فرض على الراهب العفة والفقر والطاعة . أنكرت العفة العلاقات الأسرية بالعلاقات الدينية والإهتمامات الروحية . وأوجب الفقر رفض كل العلاقات والمكاسب المادية . فقبل دخول الدير يتخلى الشخص عن ممتلكاته ، وتكون ملكية كل شيئ مشاعا فى الدير . وقصد بمبدأ الطاعة إنكار السلطة والمكانة والامتياز والتخلى عن جميع الحقوق والانتماءات من أجل الرب . فالطاعة استهدفت إنكار الذات والرجوع الى الله. ومن ثم نرى أن الحياة فى الدير استهدفت الإعداد للعالم الآخر وليس الإعداد لهذا العالم المادى.

ب-أنواع التربية:

إن ضيق أهداف الديرية جعل التربية مقصورة على ثلاثة أنواع هى التربية الدينية ، والتربية الخلقية ، والتدريبات اليدوية . لقد توقع بندكت من الرهبان قضاء سبع ساعات فى العمل اليدوى وساعتين فى القراءة الدينية . فاشتغل الرهبان بالزراعة والبستنه وصناعة الأخشاب والجلود والمعادن ، وقطع الأخشاب ، وتجفيف المستنقعات ، واشتغلت الراهبات بصناعة الستائر والملابس ، وغزل الصوف . وانشغل الجميع بالقراءة الدينية ، ونسخ المخطوطات ، وجمعها ، وتبادلها بين الأديرة فضلا عن الاشتغال بتعليم أبناء الفقراء فى المدارس الملحقة بالأديرة أوالذين يعدون أنفسهم ليكونوا رهبانا أوكهنة ، أو كتبة فى المحاكم الكنيسية.

جـ- محتوى التربية:

كان محتوى التربية بسيطا فى الأديرة المبكرة اذ اقتصر على الإعداد للحياة الديرية. فقد كان مطلوبا من العضو الجديد أن يتعلم القراءة ليتسنى له قراءة الكتاب المقدس، وأن يتعلم الكتابة ليقوم بنسخ الكتب والمخطوطات ، وأن يتعلم الموسيقى والغناء ليشارك فى الاحتفالات الدينية وأن يحسب ليعرف أوقات الاحتفالات الدينية . وفيما بعد درست مدارس الأديرة الفنون الحرة السبعة خدمة لأغراض دينية أيضا . فالمجموعة الثلاثية (النحو والخطابة ، والجدل) درست لتعين على قراءة الكتاب

المقدس ، وتعاليم آباء الكنيسة ، وتعلم أصول العقيدة . ودرست المجموعة الرباعية (الحساب والهندسة ، والفلك ، والموسيقى) للقيام بالشعائر والطقوس وحساب الأعياد الدينية . ولم يكن مطلوبا من رجل الدين أن يحصل من هذه العلوم أكثر مما تقتضيه الحاجة.

د - المؤسسات والتنظيمات التعليمية:

يذكر إيفانز Evans (١٩٧٤ ، ص ص ١١ - ١٢) أن مدارس الأديرة كانت من أعظم أنواع المدارس فى العصور الوسطى . وكانت هذه المدارس مخصصة للأطفال المنتمين إلى الدير ، أى الأطفال الذين وهبهم آباؤهم للحياة الديرية ليكونوا رهبانا أو كتبة فى محاكم الكنيسة . ونظراً للضائقات الاقتصادية التى شهدتها العصور الوسطى كان بعض الآباء يتركون أطفالهم الصغار على باب الدير فيضمنون لهم المأكل والمشرب والتعليم والكساء . وفيما يتعلق بالتنظيمات التعليمية يذكر وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص ١٨٠) أن الأطفال يسمح لهم بالدخول فى مدارس الأديرة فى سن العاشرة ، ويدرسون لمدة ثمانى سنوات ، ثم ينخرطون فى الدراسات العليا فى سن الثامنة عشرة . ويذهب إيفانز Evans (١٩٧٤ ، ص ١٣) إلى أن الطالب الجيد يستطيع أن يتعلم كل ما تقدمه مدرسة الدير فى سن الرابعة عشرة . ولقد أصبحت هذه المدارس أكثرتنظيما فى عهد شارلمان وفى عهد الفرد الأكبر.

طرق التعليم:

اهتم المدرسون فى مدارس الأديرة بطرق التعليم وبخاصة طريقة السؤال والجواب التى استهدفت من كتاب « ابيلارد » الذى يناقش فيه عددا من المسائل اللاهوتية بطريقة فلسفية . ولقد اتبعت طريقة التدريس هذه فى التعليم الجامعى فى العصور الوسطى . ونظرا لندرة الكتب والمخطوطات اعتمد المعلمون على طريقة الإملاء حيث كان المعلم يملى على المتعلم ويحفظ المتعلم ما يملى عليه .هذا فضلا عن طريقة الحوار والمناقشة التى اتبعت فى مدارس الأديرة ثم استخدمت فى الجامعات . وكان طلبة الجامعة مطالبين بالدفاع عن رسالتهم وإقناع النظارة قبل إجازتهم للعمل

بالتعليم أو الكهانة . ويتحدث إيفانز Evans (١٩٧٤) عن طرق التعليم التى كانت متبعة فى العصور الوسطى ويحصرها فى ثلاث هى طريقة السؤال والجواب، وطريقة السماع ، وطريقة المناقشة ، ويرى أن طريقة المناقشة كانت معنية بتنمية القدرات الذهنية للطلبة وإعانتهم على تقدير الأهمية النسبية للاستدلالات العقلية ، وبيان مواطن القوة أو الضعف فيها ، وتنمية القدرة على الجدل وانسجام الخصوم . ويذكر أيضا أن الاعتماد على طريقة المحاضرة والكتب والمخطوطات ـ على الرغم من قدرتها ـ كان أمرا شائعا.

٢ - الاتجاهات والممارسات التعليمية للحركة المدرسية:

عرفت خمسة القرون الأولى من العصور الوسيطة بعصر الإيمان لأن النصارى تقبلوا العقائد الكنيسية دون مناقشة ومع توقف الغزوات البربرية ، والإحساس بالأمن واستقبال العلم العربى عن طريق إسبانيا والحروب الصليبية ، توفر وقت للأنشطة التعليمية ونمو الحياة الفكرية ، وبدأ النصارى يتشككون فى العقائد الكنيسية، ويفكرون فيما قبلوه دون مناقشة . وكان من نتيجة ذلك زيادة الحاجة إلى علم الدين وتدريسه فى مدارس الأديرة والكاتدرائيات بنشاط أكبر ، وظهور قادة الفكر الدينى الذين استطاعوا جذب الطلبة من كل مكان.

ومن أظهر الأمثلة على ذلك « أبيلارد » الذى عاش فى فرنسا فى الفترة من ١٠٧٩ إلى ١١٤٢، وكان أستاذا ذائع الصيت ، ساحر البيان ، فاجتمع حوله ألوف التلاميذ المأخوذين ببلاغته المفتونين بطريقته فى إقامة القصيدة على أسس عقلية . يقول عبد الله عبد الدايم ـ ١٩٧٨ ، ص ١٢٢) : « وأبيلارد ألمع من يمثل التربية المدرسية ، مع نزعة مبتكرة لديه إلى التحرر الفكرى » لقد اعتقد «ابيلارد» أن العلماء فى عصره لا يفكرون لأنفسهم ، ولايناقشون ما يقرأون ، بل يدفنون رءوسهم فى الرمال. ومما يقوله فى ذلك (نقلا عن عبد الله عبد الدايم، ١٩٧٨ ، ص ١٢٢) : «إن من المضحك أن نعظ الآخرين بما لا نستطيع أن نفهمهم إياه ولانفهمه نحن وفى كتابه «نعم ولا» (نقلا عن إيفازنز Evans ، ١٠٧٤ ، ص ص ٦٠ - ٦١) حاول أبيلارد تأكيد فكرة مفادها ، أنه إذا كانت الكتب التى يثق فيها الناس متعارضة ، وكان على

القارئ أن يقرر لنفسه فى أيها يثق . ولكى يبرهن لمعاصريه على خطأ معتقداتهم ، جمع العبارات المتناقضة فى الكتاب المقدس ، وكتابات الآباء السابقين ، ووضعها جنبا إلى جنب فى كتابه ، وطلب إلى قارئه أن يقارن بينها ويحكم عليها . ولقد أثار هذا الكتاب غضب رجال الكنيسة والجامعة على السواء ، فاستدعوه ، وناقشوه فيما كتب ، وأدانوه فى محاكمة غيرعادلة ، مما اضطره إلى الهرب إلى البرية ، والانقطاع إلى عبادة الله على طريقة الرهبان السابقين على عصر الديرية. والحركة المدرسية لاتشير إلى مجموعة من المعتقدات الدينية بل بالحرى إلى الاهتمامات الفلسفية ، والطرق التعليمية التى غلبت على مدارس الأديرة والكاتدرائيات فى القرن الحادى عشر الميلادى، وبلغت درجة الكمال في الجامعات فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر. يقول وايلدز (Wilds)(١٩٤٤، ص ١٨٢): «وكانت أظهر خاصية للحركة المدرسية ضيق أفقها الفكرى من ناحية ، ودقة طرائقها من ناحية أخرى » وفيما يلى نناقش أهم الاتجاهات والممارسات التربوية للحركة المدرسية.

أ- أهداف التربية:

استهدفت الحركة المدرسية تأييد المعتقدات الكنيسية بالحجة العقلية لمواجهة النزعات الشكلية ، والهرطقات الدينية ، ومن ثم ظهرت الحاجة إلى تنمية العقل واستخدامه فى فهم وتأييد المعتقدات الدينية وليس مجرد الإيمان . لقد كان الهدف الغالب على معظم العصور الوسطى هو بيان الإنسجام الكامل بين الدين والعقل ، ويرجع الفضل فى إظهار هذا الهدف إلى القديس «أنسلم» والقديس «توما الإكوينى». ولقد عنيت التربية المدرسية بتنمية القدرة على صياغة المعتقدات الدينية بطريقة عقلية ، والدفاع عنها ضد الحجج العقلية التى يصوغها الشكاك والهراطقة. يقول وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص ١٨٤) : « إن الهدف الأساسى للحركة المدرسية تمثل فى صياغة مذهب فلسفى منظم تنظيما دقيقا . وبالتالى كان هدف التربية المدرسية هو التدريب العقلى» ومن ثم زاد الإهتمام بأعمال أرسطوطاليس ، وعكف الكثيرون على ترجمتها وشرحها ودراستها.

ب- أنواع التربية ومحتواها :

اهتمت الحركة المدرسية بالتربية الدينية والعقلية ودافع المدرسيون عن المعتقدات التى اعتبرتها الكنيسة صحيحة. وبالتالى فرضت الكنيسة معتقداتها على الحياة الفكرية ، كما فرضت مثلها ومعاييرها على سائر أنشطة الحياة فى العصور الوسطى من علم وأدب وفن وموسيقى وعمارة .. إلخ . غير أن محتوى التربية تغير وفقاً للاتجاهات الفلسفية الغالبة. ولقد إنقسم المدرسيون قسمين أو انتموا إلى معسكرين فلسفيين هما الإسمية والواقعية . أما الفلسفة الإسمية فقد أكدت أن الأفكار العامة والمفاهيم مجرد أسماء أو رموز ، وأن الأشياء الجزئية التى تعرف عن طريق الحواس هى الكيانات الحقيقية. ولقد إستندت هذه الفلسفة إلى أساس أرسطى واقعى. أما الواقعية المدرسية فقد كانت مؤسسة على الأفلاطونية الحديثة التى تسلم بحقيقة الأفكار وواقعيتها. فالواقعى فى العصور الوسطى إعتقد أن التصورات والأفكار هى الكيانات الحقيقية ، وأن ما يعرف عن طريق الحواس مجرد نسخ من تلك الأفكار. فالحواس الإنسانية فى رأيه خادعة ، ويمكن البلوغ إلى الحقيقة عن طريق العقل. ولقد مثل «روز سيلىناس» الفلسفة الإسمية ، ومثل القديس «أنسلم» المدرسة الواقعية ، وقبلت واقعية أنسلم ورفضت إسمية روز سيلىناس لعدم مناسبتها للمفاهيم الدينية وبخاصة مفهوم الرب ، والإنسان ، والخطيئة الأولى والخلاص ، وبالتالى اعتبرت «روز سيلىناس» هرطقيا ، وأجبرته على التراجع عن آرائه. ثم حاول «أبيلارد» التوفيق بين الواقعية والإسمية وبلغت هذه الحركة التوفيقية أكمل درجاتها على يد القديس «توماس الأكوينى» الذى جمع بين فلسفة أرسطو وعلم الدين النصرانى ، وأصبح علم الدين الذى نماها معترفا به من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وهكذا إشتمل المنهج الدراسى على المعتقدات الدينية والعلوم الأرسطالية. يقول إيفانز Evans (١٩٧٤ ، ص ٣٨ - ٤٥) كان على الطالب فى العصور الوسطى أن يدرس ثلاثة أنواع من الكتب هى الإنجيل ، وكتب رجال الدين من أمثال القديس أوغسطين وجيروم ، والكتب الإغريقية والرومانية التى ألفها أفلاطون وأرسطو وفرجيل. وكان لابد من تحقيق قدر من الإنسجام بين هذه الكتب والعقيدة النصرانية.

جـ- مؤسسات التعليم وتنظيماته :

تحدث إيفانز Evans (١٩٧٤) عن خمس مؤسسات تعليمية فى العصور الوسطى هى مدارس الأبرشيات ، ومدارس الكاتدرائيات ، ومدارس النحو ، والمدارس الديرية ، والجامعات . فلقد كان مسموحا لكنائس الأبرشيات فتح المدارس فى قراهم لتعليم صغار الأطفال القراءة والكتابة ، وبعض الصلوات والأدعية وغنائها ، دون مقابل مادى. وفى مدارس الكاتدرائيات كان الأطفال يتعلمون الغناء فى جماعة وتعلم اللاتينية بالقدر الذى يعينهم على فهم الأغانى والأدعية. وكان اليوم المدرسى يبدأ فى مدارس الكاتدرائية مع أول ضوء فى الصباح الباكر ويستمر حتى الغروب فى الشتاء أو حتى السادسة مساء فى الصيف. ويتخلل هذا الوقت فرصتان إحداهما لتناول الفطور والثانية لتناول الغذاء. أما مدارس النحو فكانت مقصورة على أبناء الأثرياء الذين يرغبون فى التعلم لذاته ، ولا يرغبون فى أن يكونوا رهبانا أو رجال دين. وعنيت مدارس الأديرة بإعداد الصغار للحياة الديرية ليكونوا رهبانا أو كتبة فى محاكم الكنيسة. وكانت هذه المدارس مدارس للفقراء بصفة عامة لأنها كانت تقدم الطعام والكساء والمأوى للتلاميذ. ولقد اشتهرت بعض المدارس الديرية والكاتدرائية فى العصور الوسطى لأنها درست أكثر من مجرد القراءة والكتابة واللغة اللاتينية، وإشتغال بعض معلميها بالعلوم المتقدمة وجذبهم لأعداد كبيرة من الطلبة. ولقد تحولت هذه المدارس إلى جامعات العصور الوسطى . يقول إيفانز Evans (١٩٤٤ ، ص ٣٤) : « فالمدارس فى العصور الوسطى كانت تتحول إلى جامعات إذا استطاعت جذب أعداد كبيرة من الطلبة والأساتذة. حدث هذا فى ألمانيا وإنجلترا وفرنسا ، وحدث مثله فى إيطاليا ». ويذكر جوزيف نسيم يوسف (١٩٨٤) أن جامعات العصور الوسطى لم تظهر فجأة وإنما مرت بمراحل متعاقبة حتى اكتمل نموها واستقرت مناهجها ونظمها. أما المرحلة الأولى فهى نشأة الجامعات فى المدارس العامة الملحقة بالمؤسسات الدينية ، والمرحلة الثانية هى تحول بعض المدارس إلى معاهد علمية كبرى بفضل السمعة العلمية لأساتذتها، وأعقب ذلك تكوين الاتحادات الطلابية باعتبارها نقابات لحماية مصالح الطلبة ، ثم كان الاعتراف

الرسمى بالجامعات من السلطات الدينية والعلمانية. وكان نظام الامتحان يقوم على المناقشة العلنية فى رسالة يقدمها الطالب باللغة اللاتينية ، ويمنح الطالب إجازة الليسانس ليدرس فى المدارس ، وإجازة الماچستير والدكتوراه ليدرس فى الجامعة.

د- طرق التعليم:

استهدفت طرق التعليم التى استخدمت فى العصور الوسطى تحصيل الطالب للموضوعات الدراسية ، وزيادة قدرته على المناظرة فيها. وبالتالى كانت هناك طريقتان متميزتان هما طريقة المحاضرة حيث يقرأ المعلم من كتاب أو ما دونه من ملاحظات على تلاميذه ويكتب التلاميذ ما يقول المعلمون ، والطريقة الثانية هى طريقة المناظرة وفيها تعرض فكرة وتؤيد بالبراهين، ويعترض عليها بالأدلة المناهضة . ولقد عنيت الطريقة المدرسية بالاستنتاج من المبادئ المقبولة وكانت الصورة المفضلة للمناظرة هى القياس الذى يعتمد على ثلاث قضايا : مقدمة كبرى ومقدمة صغرى ونتيجة. وبالرغم من أن هذه الطريقة لم تؤد إلى إكتشاف معرفة جديدة ، فقد أعانت على تنمية العقول ، وكانت مقدمة ضرورية لعصر النهضة ونمو العلم الحديث. ويذكر إيفانز Evans (١٩٧٤، ص ص ٥٠ - ٥١) طريقة أخرى هى طريقة السؤال والجواب حيث يصنف الطلبة المشكلات التى يصادفونها فى دراستهم لمقرر معين ، ويجتمعون تحت إشراف الأستاذ ، ويسأل الطالب سؤالا ويحاول الطلبة الآخرون الإجابة عنه ، ويقرر الأستاذ ما إذا كانت الإجابة صحيحة أم خاطئة. وفى بعض الأحيان كان الأستاذ يسأل السؤال ويجب عنه ، ويتعلم الطالب السؤال والإجابة عنه . وبالرغم من تمتع طالب الجامعة فى العصور الوسطى بحرية كبيرة كان الطالب فى المستويات الأدنى مقيد الحرية، ويخضع لأنظمة إشرافية صارمة ، وكثيرا ما كان يستخدم العقاب البدنى فى تقويمه. يقول عبدالله عبدالدايم (١٩٧٨ ، ص ١٢٣) : « أما العقاب فكان سائدا وفظاً ، وكان العقاب الجسدى خاصة كثير الإستعمال متنوع الأشكال». ويبدو أن ذلك يرجع إلى الاعتقاد فى الخطيئة وضرورة العناية بالتأديب الذى يعين على الخلاص.

٣. الاتجاهات والممارسات التربوية فى عصر الفروسية:

انقسم المجتمع الأوربى فى العصور الوسطى إلى ثلاث طبقات هى طبقة الكهنة ، وطبقة المحاربين ، والطبقة العاملة ، أما طبقة الكهنة فقد تعلمت فى المؤسسات التعليمية التى صاحبت الديرية والحركة المدرسية. وأما الطبقة العاملة فقد تعلم أعضاؤها عن طريق تقليد الكبار والتدريب على حرث الأرض ، وقطع الأخشاب، واستخراج المياه ، وغيرها من الأنشطة المهنية. أما المحاربون فكان لهم نظام تعليمى معقد قامت عليه مؤسسة الفروسية التى نشأت فى بداية القرن التاسع الميلادى ، حينما أصبح نظام الإقطاع راسخا ومستقرا حتى القرن السادس عشر. ولقد نما النظام الإقطاعى فى فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإنجلترا واسكتلندا ومعظم دول أوربا فى عصر الإمبراطور شارلمان ، الذى حاول بناء إمبراطورية مسيحية عظيمة. وحينما عينه البابا أمبراطورا عام ٨٠٠ ميلادية نجح نجاحاً كبيراً وأخضع كل حكام الغرب لسلطته ، وفى مقابل ولاء الحكام والقواد العسكريين ، أقطعهم شارلمان مساحات كبيرة من الأرض ، وتعهد بحمايتهم فى مقابل تعهدهم له بالخدمة والحماية. وبالتالى حكمت إمبراطورية شارلمان بطريقة الإقطاع. ونمت مؤسسة الإقطاع نموا سريعا بعد وفاة شارلمان وتقسيم إمبراطوريته بين خلفائه . ونظرا لضعف الخلفاء وغزوات العرب ، وهجمات الهون ، وتحرر العبيد ، وشيوع الفوضى سعد الجميع بالحماية التى يوفرها النظام الإقطاعى ، وبخاصة أبناء الفقراء الذين استجاروا بقلاع النبلاء وحصونهم . وهكذا تمثل جوهر النظام الإقطاعى فى الخدمة التى تتخذ شكل الدفاع أو زراعة الأرض. واعتبر الأشخاص الذى يقومون بوظيفة الدفاع نبلاء ، والذين يقومون بوظيفة الفلاحة عبيدا. ونشأ نظام الفروسية من القواعد والاستخدامات الإجتماعية المرتبطة بحياة النبلاء ، الذين تدربوا على حياة الفروسية للقيام بوظيفة الدفاع. وفيمايلى نناقش الاتجاهات والممارسات التربوية للفروسية.

أ- أهداف الفروسية:

استهدفت الفروسية تعليم الفارس المثل الدينية والخلقية والاجتماعية . وبمعنى

آخر حاولت الفروسية الجمع بين مثل المحارب البربرى ، والقديس النصرانى فى إطار واحد ، من خلال غرس مبادئ الحب والحرب والدين فى نفوس الفرسان. يقول محمد منير مرسى (١٩٨٣ ، ص ١٧٠) : كان من أهم الفضائل التى يجب أن يتحلى بها الفارسى : « التأديب ، والشرف والإخلاص ، والتقدير ، والشجاعة ، والتلطف ، والتحرر ، وإحترام المرأة ، والإيمان والتقوى». وكان على الفارس أن يقسم على مخافة الله وعبادته ورعايته ، والولاء للكنيسة ، ويؤمن بميثاق الشرف الذى يوجب ولاءه للسيد الإقطاعى ، وللسيدة الإقطاعية ، وحماية الضعفاء ، وإحترام النساء. والواقع أن قيم الفروسية ومثلها لم تتحقق كاملة فى أى مجتمع أوربى سواء فى إنجلترا أم فرنسا . يقول محمد منير مرسى (١٩٨٣، ص ١٧٠) : «ولكن هذه المثل العليا كانت من الناحية النظرية فقط ، وقلما كان يتمسك بها الفارس فى حياته ».

ب- أنواع التربية:

أكدت الفروسية على التدريب العسكرى وجعل القتال مهنة وبالتالى صرفت وقتاً كبيراً من حياة الصبى لإكتساب المهارات العسكرية. يقول محمد منير مرسى (١٩٨٣، ص ١٧٠) : « كان الفارس يمر خلال تربيته وتعليمه فى نظام قاس طويل يتدرب فيه على التمارين الرياضية ، والألعاب الشاقة ، واستخدام أسلحة الحرب والمبارزة. وكان يتحتم على الصبى تعلم ركوب الخيل والقتال راكبا ومترجلا. كما تقررت تمارين بدنية تضارع ما كان موجودا فى إسبرطه فى القرنين السادس والخامس ق.م». وكانت الفروسية أيضا صورة من صور التدريب الاجتماعى والتدريب الدينى . فلقد كان متوقعا من الفارس أن يشارك فى جميع الحفلات الدينية التى تعقد فى الكنيسة . غير أن وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص ١٩٤) ينتقد هذا النوع من التعليم بقوله : « كان التدريب على الفروسية تعليما طبقيا وأرستقراطيا».

جـ- محتوى تربية الفارس:

لقد تألف منهج تربية الفارس من الأنشطة البدنية والعسكرية والإجتماعية

والدينية. ولقد كان هذا المنهج متدرجا. ففى المستوى الأول يشتمل المنهج على التعليم الصحى والتعليم الدينى والغناء واللعب على القيثارة وتنمية مهارات ركوب الخيل والملاكمة والمصارعة ، وتعلم مهارات القراءة. وفى المستوى الأعلى يشتمل المنهج على المبارزة والصيد والعوم وركوب الخيل وكتابة الشعر وغنائه. أما البنات فقد تلقين تدريبا مماثلا لتدريب الأولاد الدينى والإجتماعى واستبعدت التدريبات البدنية والعسكرية من نظام تعليمهن. وبدلا من التدريبات البدنية والعسكرية درب البنات على الواجبات المنزلية كالغزل والحياكة وإعداد الطعام.

د- مؤسسات التعليم :

كان التعليم الأولى للأطفال يتم فى البيت عن طريق الأم. وفيما بعد ينتقل الطفل إلى قلعة الإقطاعى ويتعلم من خلال ملاحظة سلوك الفرسان وتقليدهم . وكان الشعراء الذين يتغنون بفضائل الفرسان ، ويتناقلون الأخبار من قلعة إلى أخرى ، من أهم المؤسسات التعليمية فى نظام الفروسية . يقول محمد منير مرسى (١٩٨٣ ، ص ١٧١) : « لقد زخر القرنان الثانى عشر والثالث عشر بالشعراء المتجولين فى بلاط الأرستقراطيين الفرنسيين ، والشعراء الغنائيين غير الأرستقراطيين الفرنسيين والألمان، حتى يتسنى مساعدة سيدات البلاط فى تعليم الصبية والفتيات أساليب المعاملة فى البلاط».

هـ- التنظيم التعليمى :

يظل الطفل من الميلاد حتى السابعة من عمره فى البيت تدربه الأم على الأمور الدينية والبدنية. وفى سن السابعة ينتقل الطفل من البيت إلى القلعة ، ويظل فى رعاية سيدات القصر حتى الرابعة عشرة من عمره ، ويتعلم خلال هذه المرحلة الأخلاق الواجبة للرجل المهذب أو النبيل من قراءة وكتابة وحساب وغناء. وفى الفترة من سن الرابعة عشرة حتى الحادية والعشرين يبدأ الشاب فى تعلم واجبات الفارس ، من خلال مصاحبة الفارس وخدمته. فهو يعمل سائسا لجواد الفارس ، ويرتب له سريره، ويخدمه على المائدة ، وينظف درعه ، ويحمله عنه ، ويصاحبه فى المسابقات

والمعارك، وهكذا يتعلم فنون الحرب والسلام . وفى سن الحادية والعشرين يستقبل فى إخوة الفرسان فى حفلة كبرى ذات مراسيم معقدة. يقول محمد منير مرسى (١٩٨٣) ، ص ص : ١٧١ - ٢٧١) . كان الإستقبال فى أخوة الفرسان أكبر الاحتفالات الاقطاعية « فكان يقام احتفال له مراسيم خاصة تبدأ بالاستحمام رمزا للتطهر الجسمى ... وبعد الاستحمام والتطهر الجسمى يقوم الفارس بالاعتراف بالذنب للقسس وذلك رمز للتطهر الروحى .... وبعد أداء المراسيم الكنسية ... يتقدم إلى المزيج ، حيث يباركة القس ، وتستكمل مراسيم الاحتفال ، ويمنح فى النهاية لقب فارس ثم يتسلم خوذة وجوادا وحربة ».

و- طرق التعليم:

نظرا لاعتماد تربية الفارس على المهارات الاجتماعية والبدنية والعسكرية، فقد استخدمت طريقتا القدوة والممارسة فى تعليمه. إن ملازمة الفارس لسيده وسيدته علمته القواعد والتقاليد الإجتماعية ، من خلال التقليد والملاحظة واكتسب الفارس مثل ومهارات الفروسية من خلال مصاحبة الفارس ، ومراقبة سلوكه ، والتدرب على المهارات المختلفة التى يوجبها نظام الفروسية ، ومن ثم كانت التربية تحدث عن طريق العمل والنشاط ، والملاحظة والقدوة.

٤- الاتجاهات والممارسات التربوية فى مدارس النقابات:

ازدهرت التجارة ونمت المدن الحرة نتيجة للحروب الصليبية فى القرن الثالث عشر. يقول إميل برهييه (١٩٨٣ ، ص ١٦٤) : « فى القرن الثالث عشر نمت التجارة وظهرت المدن والجامعات» ، ومع نمو المدن ظهرت الطبقة المتوسطة أو الطبقة البرجوازية وهى طبقة جديدة تختلف عن طبقات رجال الدين والنبلاء والعبيد. وكانت حاجات أبناء الطبقة الجديدة مختلفة عن حاجات أبناء الطبقات القديمة فى العصور الوسطى ، وبالتالى تتطلب نظاما تربويا جديدا يتعلم فيه أبناء الطبقة الجديدة وفقاً لحاجاتهم . ويذكر وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص ص ١٩٨ - ٢٠٠) أن الحروب الصليبية أدت إلى إتصال النصارى بأمم مختلفة فأصبحوا على ألفة بأنواع

جديدة من المأكولات والمشروبات والملبوسات والزينة .. إلخ. ودعت هذه الألفة إلى نمو حاجات جديدة لدى الأوربيين . واقتضى الأمر وجود نظام جديد للبنوك والصناعة والتجارة لاستيراد وصناعة وتوزيع السلع إشباعا لتلك الحاجات الجديدة. وأدت ظروف الحرب من نقل للأسلحة إلى نمو المدن الحرة باعتبارها مركزا للشحن والصناعة والتجارة والمال. وتركزت حياة المدن الحرة حول نظام جديد عرف بنظام النقابات المهنية . وكانت النقابات تنظيمات أو روابط للمشتغلين بالتجارة والصناعة ، وبالتالى كانت نوعين : نقابات للتجار ونقابات للحرفيين أو المهنيين ، وحول هذه النقابات نما نظام تعليمى لإشباع الحاجات التعليمية لأعضائها وأبناء أعضائها. يقول محمد منير مرسى (١٩٨٣، ص ١٨٢) : « وكان أغلب المرشحين للتدريب فى هذه النقابات أبناء التجار والحرفيين ، أو أى صبى آخر يرغب فى التلمذة الصناعية دون النظر إلى ظروف وضعه الإجتماعى». وفيمايلى نناقش الاتجاهات والممارسات التعليمية لمدارس النقابات فى العصور الوسطى.

أ- أهداف التربية وأنواعها ومحتواها :

احتاجت الطبقة المتوسطة الجديدة تربية ذات طابع عملى لإعداد أبنائها للقيام بأنشطة الحياة الصناعية والتجارية . وكان التأكيد على التعليم المهنى هو الإسهام الحقيقى للنقابات فى التعليم. يقول محمد منير مرسى (١٩٨٣ ، ص ١٨٣) : « لقد كان هدف النقابات مهنيا تماما وتهدف إلى التخصص » ، ويذهب وايلدز Wilds (١٩٤٤ ، ص ٢٠٠) إلى أن التعليم المهنى الذى أكده الصناع والتجار لم يكن تعليما مهنيا ضيقا يغفل سائر الأنواع الأخرى من التعليم»، فأصحاب المهن كانوا حريصين على تقديم تعليم أولى للصبية فى القراءة والكتابة والحساب بالإضافة إلى تعليم دينى ... أما التعليم العقلى فى هذه المدارس فكان تعليما أوليا».

ب- المؤسسات التعليمية :

ظهرت أنواع جديدة من المدارس فى المدن لتعليم أبناء المدن. ومن هذه المؤسسات مدارس الإنشاء التى أنفق عليها التجار ، وأوقفوا عليها الأموال ، واشترطوا أن

يدرس الكهنة فيها لقيادة القداس رحمة لأرواح كبار التجار. وتعلم الأطفال فى هذه المدارس بالإضافة إلى التعليم الدينى مبادئ التعليم العام. وكانت مدارس النقابات من أشيع أنواع المدارس التى ظهرت فى المدن وكانت تعلم أبناء الحرفيين وينفق عليها من النقابات ، ويعلم فيها رجال الدين والحرفيون. ويذكر محمد منير مرسى (١٩٨٣ ، ص ١٨٣) أن التعليم الذى كانت تقدمه مدارس النقابات كان أفضل تعليم فى العصور الوسطى . وكان لهذه المدارس معايير عالية ، واختبارات تعليمية قاسية ، تعقد على فترات ، ضماناً لأفضل أداء. وقد أتمت النقابات نموذجا للتدريب تبنته الجامعات الأولى. ولقد أنتعش التعليم فى النقابات فى أواخر العصور الوسطى ، وفى بداية عصر النهضة.

جـ- التنظيمات التعليمية:

يقول محمد منير مرسى (١٩٨٣ ، ص ٨٣) : « وكانت مدة التدريب من خمس سنوات إلى إحدى عشرة سنة ، ويبدأ التدريب من سن لا يقل عن سبع سنوات ويتناول الصبية وحدهم ». وكان أظهر تنظيم فى المدارس النقابية هو التقسيم إلى ثلاث طبقات أو فئات : طبقة المعلمين ، وطبقة المتنقلين ، وطبقة الصبية. وعنيت النقابات بتنظيم سلوك أعضائها والمحافظة على مصالحهم. ولقد سمحت لطبقة المعلمين وحدهم بإمتلاك المحال أو الورش ، وشراء الخامات وتصنيعها ، وبيع السلع المصنعة. وكانت النقابات تشرف على المصنوعات بحيث تضمن مستوى مقبولا من الجودة. وأوجبت النقابات على المعلمين إيواء الصبية ، وتعليمهم مبادئ الصناعة فى مقابل ولاء الصبية للمعلم وإحترامه. أما طبقة المتنقلين فاشتملت على الصبية الذين تعلموا المهارات اللازمة لممارسة الحرفة ، ولم يكونوا مقيدين بالعمل عند معلم واحد، وإنما ينتقلون من معلم إلى معلم آخر كما يشاءون ، ويحصلون على أجر من المعلم، ويعيشون فى بيوتهم مستقلين عن المعلم. وكان مطلوبا من طبقة المتنقلين القيام بعمل رائع فيما يتعلق بحرفتهم قبل إعلانهم معلمين. وبعد أن يصبح المتنقلون معلمين يتوقف تعليمهم ، ويبدأون عملا خاصا بهم ، بعد الحصول على المال اللازم لبداية المشروع الجديد.

د- طرق التعليم:

لم تختلف طرق التـعليم التى أتبعت فى مدارس النقابات عن طـرق التعليم التى أتبعـت فى مدارس الإنشـاء ومدارس المدن والمدارس الـديرية بصـفة عامة ، غـير أن مدارس النقابات اعتمدت إعتماداً كبيرا على طرق القدوة والتقليد والممارسة ، وكان نظام التأديب صارمـا كما كان عليه الحال فى مدارس العصور الوسـطى بصفة عامة. وما يزال التأديب الصارم مستخدما فى تعليم الحرفيين حتى الوقت الحاضر.

المراجع

أولا: المراجع العربية:

١- إميل برهييه : تاريخ الفلسفة ، الجزء الثالث ، (ترجمة جورج طرابيشي) ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٨٣ .

٢- جوزيف نسيم يوسف : نشأة الجامعات في العصور الوسطى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ .

٣- سعد مرسى أحمد : تطور الفكر التربوى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٢ ,

٤- عبد الله عبدالدايم : التربية عبر العصور ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٧٣ .

٥- عمر الشيبانى : تطور النظريات والأفكار التربوية ، ط٢ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٥ .

٦- محمد منير مرسى : تاريخ التربية فى الشرق والغرب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

ثانيا: المراجع الأجنبية:

1 -Exy, F. & Arrowood, C., History and Philcosophy of Education, New York : Prentic Hall , 1940.

2- Evans , G. Leaning in Medieval Times , London : The Longmans, 1974.

3- Lyon, W.. A History of the Christian Sects, Boston : The Beacon Press, 1926.

4- Mulhern, J., A History of Educaton, (2nd. Ed.), New York : The Roland Press, 1959.

5- Mullinger, J., Schools of Charles the Great, London : Longmans, 1877.

6- Southern, R., Western Society and the Church in the Middle Ages, (8th. Ed., Penguin Books, 1979.

7- Star, C., The Ancient Romans, New York : Oxford univ. press, 1975.

8- Wilds, E., Foundations of Modern Education , Washington : War Department, 1944.